النيل وآثاره السياسية على مصر خلال العصر الفاطمي

(٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م)

إعداد

هيام طه صالح حسب الله

المستخلص:

شهدت مصر خلال العصر الفاطمي (٣٥٨-٩٦٩هـ/٥٦٧-١١٧١م) العديد من المجاعات التي ذهب ضحيتها الآلاف من المصريين، وقد اعتبر البعض أن السبب الرئيسي لهذه المجاعات يرجع إلى نقص مياه النيل، غير أن الوقائع ومنسوب الفيضان خلال هذه المجاعات ينفي ذلك، فالأسباب الحقيقية التي أجاعت مصر أيام الفاطميين أعمق من قضية الفيضان، فهناك الكثير من المجاعات وقعت في أعوام كان منسوب النيل فيها عالياً، بينما هنالك أعوام شهدت استقراراً اقتصادياً رغم انخفاض منسوب فيضان النيل، وذلك يعني أن العلاقة بين فيضان النيل والمجاعات ليست طردية، بل إن الأسباب الحقيقية كانت تكمن في طبيعة الدولة الفاطمية ونظمهما، بالإضافة إلى ضعف خلفائها وفساد وزرائهم، فمصر هي هبة النيل ولا يمكن أن تعرف زراعة أو استقراراً بدونه، غير أنه وجب على كل من حكم مصر أن يُحسن التعامل مع هذه الهبة لكي يُجنِب شعبه الغلاء والجوع، فالنيل قديم بقِدم مصر وهذه طبيعته منذ أن خلقه الله تعالى، يفيض في أعوام وينخفض في أُخرى، لذلك كان لابد من البحث في النظام السياسي للدولة الفاطمية لكشف الأسباب الحقيقية التي أجاعت مصر في عهدهم، واتضح أن هذه الأسباب كانت تكمن في نظم الفاطميين وفي شخصيات خلفائهم ووزرائهم وآل بيتهم، وأساليبهم في إدارة موارد الدولة والتصرف بها، فقد وفّى النيل في سنوات كثيرة ولكن الفاطميين لم يُوفوا فكان الجوع.

Abstract:

During the Fatimid era (358-969 AH/567-1171 AD), Egypt witnessed many famines that claimed the lives of thousands of Egyptians. Some have considered that the main cause of these famines is due to the shortage of the Nile water. However, the facts and the level of flooding during these famines deny this; the real reasons that starved Egypt during the Fatimid days are deeper than the issue of flooding. Many famines occurred in years when the Nile level was high, while some years witnessed economic stability despite the low level of the Nile flood. This means that the relationship between the Nile flood and famines is not direct, but the real reasons are due to the nature of the Fatimid state and its systems, in addition to its successors' weakness and their ministers' corruption. Egypt is the gift of the Nile and cannot know cultivation or stability without it. However, everyone ruled Egypt ought to deal well with this gift to spare his people from expensiveness and hunger. The Nile is as old as Egypt, and this is its nature since Allah created it; it overflows in years and decreases in others. So that it was necessary to search in the political system of the Fatimid state to reveal the real reasons that starved Egypt during the era of their state. It became clear that these reasons lay in the Fatimid's systems and in the personalities of their successors, ministers, and household, moreover, their managing and disposing methods of the state resources. The Nile River fulfilled in many years while the Fatimid did not, so there was hunger.

المقدمة:

شهدت مصر خلال العصر الفاطمي (٣٥٨-٩٦٩هـ/٥٦٧-١١٧١م) العديد من المجاعات التي ذهب ضحيتها الآلاف من المصريين، وقد اعتبر البعض أن السبب الرئيسي لهذه المجاعات يرجع إلى نقص مياه النيل، غير أن الوقائع ومنسوب الفيضان خلال هذه المجاعات ينفي ذلك، فالأسباب الحقيقية التي أجاعت مصر أيام الفاطميين أعمق من قضية الفيضان، فهناك الكثير من المجاعات وقعت في أعوام كان منسوب النيل فيها عالياً، بينما هنالك أعوام شهدت استقراراً اقتصادياً رغم انخفاض منسوب فيضان النيل، وذلك يعني أن العلاقة بين فيضان النيل والمجاعات ليست طردية، بل إن الأسباب الحقيقية كانت تكمن في طبيعة الدولة الفاطمية ونظمهما، بالإضافة إلى ضعف خلفائها وفساد وزرائهم.

أولاً: أثر نهر النيل على سلطات الخليفة

تُعد السلطة المركزية مقياساً لحالة البلاد في وقت المجاعات وقد كان الخليفة الفاطمي يُمثل رأس هذه السلطة وجوهرها، فكان من الطبيعي أن تؤثر المجاعات المتعاقبة على سلطاته كما أثرت على جميع مجريات الحياة داخل المجتمع المصري[١]، غير أن درجات هذا التأثير قد اختلفت من جانب إلى آخر ومن مجاعة إلى أُخرى، بل أحدثت بعض هذه المجاعات تغييرات ضئيلة تراكمت فيما بعد حتى تحولت إلى مرحلة تاريخية جديدة، حيث انقسمت الخلافة الفاطمية إلى فترتين؛ عُرفت الفترة الأولى بعصر الخلفاء الأقوياء وقد بدأت بتولي المعز لدين الله[٢]

---

[١] أحمد السيد الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية أسباب ونتائج، دار التضامن للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٧٥.

[٢] **المعز لدين الله الفاطمي** وُلد في مدينة المهدية، وتسلم الخلافة سنة (٣٤٧هـ/ ٩٥٧م) وهو في الثالثة والعشرين من عمره، وقد انتقل من المغرب إلى مصر في عام (٣٦٢هـ/٩٧٢م)، وذلك بعد مُضي أربعة سنوات على احتلالها من قِبل قائده" جوهر الصقلي"، وقد مات ودُفن في القاهرة سنة (٣٦٥هـ/٩٧٦م) بعد أن قضى اربعة وعشرين عاماً في الخلافة. انظر عارف تامر: المعز لدين الله الفاطمي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢م، ص٦٧.

للخلافة عام (٣٤١هـ/٩٥٢م)، أما الفترة الثانية فقد عُرفت بإسم عصر الوزراء العظام وقد بدأت بمجيء بدر الجمالي[١] إلى مصر عام (٤٦٧هـ/١٠٧٤م).

وقد اعتبرت الكتابات التاريخية أن وزارة بدر الجمالي هي بداية لسيطرة الوزراء على مقاليد الحكم وانهيار سلطات الخليفة، بسبب الضعف الذي حل بالخلافة منذ بداية النصف الثاني لخلافة المستنصر بالله[٢] (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م) نتيجة للشدة المستنصرية[٣]، غير أنه من يبحث بعمق يجد أن نَسب ضعف الخلافة الفاطمية إلى قصور فيضان النيل وحده هو تحليل فيه شيء من السطحية، وذلك لأن مركز الخلافة الفاطمية هو الذي كان يؤثر على سير أعمال ضبط النهر[٤]، فإذا كان الخليفة قوياً كانت تتم أعمال تطهير القنوات والترع وصيانة الجسور والسدود على أكمل وجه، أما إذا كان الخليفة ضعيفاً فيتم إهمال هذه الأعمال وبالتالي تكثُر حوادث

---

[١] **أمير الجيوش بدر الجمالي** هو مملوك أرمني نصراني الأصل، كان مملوكاً لجمال بن عمار لذلك عُرف ببدر الجمالي، وقد استعان به الخليفة الفاطمي المستنصر أثناء الشدة المستنصرية، وعندما نجح في إعادة الإستقرار إلى البلاد عَهِد إليه المستنصر بوزارة السيف والقلم ولقبه بالسيد الأجّل أمير الجيوش، فأصبحت بيده سلطات مُطلقة وحكم مصر لمدة ٢١ عاماً. انظر محمد حمدي المناوي: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف الكبرى، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٣٣.

[٢] **المستنصر بالله الفاطمي** هو أبو تميم معد المستنصر بالله وُلد في مصر في عام (٤٢٠هـ/١٠٢٩م)، وقد تولى الخلافة بعد أبيه الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله وهو في السابعة من عمره في عام (٤٢٧هـ/١٠٣٥م)، وقد تلقب بأمير المؤمنين المستنصر بالله. انظر ابن ظافر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، تحقيق: أندريه فريه، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٢م، ص٦٧.

[٣] **الشدة المستنصرية** هو مصطلح يُطلق على المجاعة التي وقعت بمصر نتيجة لإنخفاض فيضان النيل لمدة سبع سنين متواصلة، وقد حدثت في نهاية عصر الخليفة الفاطمي المستنصر بالله في بداية النصف الثاني من القرن الخامس الهجري من تاريخ الدولة الفاطمية في مصر (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م). انظر المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال،ج٢، ط٢، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١٨٤.

[٤] سعيد عبدالفتاح عاشور: شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية، المجلة التاريخية المصرية، مج٦، القاهرة، ١٩٦٩م، ص١٦.

انهيار الجسور والسدود وتنسد الترع والقنوات بالرمال والطين مما يُعرض الأراضي الزراعية لأخطار الجفاف أو الغرق ومن ثَم تحدُث المجاعات[١].

ثانياً: أثر نهر النيل على الوزارة والوزراء

يُعد تطور نظام الوزارة والقضاء في مصر هو الوجه الآخر لعملة تطور سلطات الخليفة الفاطمي، وذلك لأن موقع الوزارة من السلطة المركزية كان يتحدد (ضعفاً أو قوةً) بمدى ضعف وقوة شخصية الخليفة[٢]، فخلال فترة الخلفاء الأقوياء (٣٥٨-٤١١هـ/٩٦٩-١٠٢٠م) كانت الوزارة عبارة عن وزارة تنفيذ تقتصر فيها مهام الوزير على تنفيذ رغبات الخليفة، بينما كان الخليفة هو المتحكم الفعلي في جميع شؤون البلاد، ولكن بعد استنجاد المستنصر بالله ببدر الجمالي في عام (٤٦٦هـ/١٠٧٤م) بسبب الشدة المستنصرية، تحولت الوزارة إلى وزارة تفويض وأصبح يفوِض فيها الخليفة إلى وزيره جميع أمور الدولة[٣].

وقد كانت الوزارة في القرن الأول من الخلافة الفاطمية عبارة عن مجموعة من رجال الإدارة المدنية مثل الكُتاب والقُضاة والولاة وكان أغلب هؤلاء الوزراء من أهل الذمة أو المسالمة، وكانت مهمتهم تقتصر على تنفيذ أوامر الخليفة[٤]،ولقد علا شأن هؤلاء الذميين في عهد العزيز بالله[٥] (٣٦٥هـ/٩٧٥م) عندما تزوج من امرأة مسيحية واستحوذوا على كثير من المناصب في الدولة، ولكن عندما تولى الحاكم

---

[١] قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، القاهرة، ٢٠١٢م، ص٥٣.

[٢] أحمد السيد الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية أسباب ونتائج، ص٨٣.

[٣] جمال الدين الشيال: مجموعة الوثائق الفاطمية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص١٥٠.

[٤] عبدالمنعم عبد الماجد: ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٩٣.

[٥] **العزيز بالله** هو نزار بن معد بن اسماعيل، هو خامس الخلفاء الفاطميين والإمام الخامس عشر من أئمة الإسماعيلية، وقد تولى الخلافة في عام (٣٦٥هـ/٩٧٥م)، وكان من أهم أعماله هو إعلان وظيفة الوزير والتي لم تكن موجودة في البلاط الفاطمي من قبل. انظر علي حسني الخربوطلي: العزيز بالله الفاطمي، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٩٨م، ص١٣.

بأمر الله[١] الخلافة عام (٣٨٦هـ/٩٩٦م) قام بالتصدي لنفوذ الأقباط في الإدارات المختلفة وطبق عليهم الشروط العُمرية[٢]، غير أنه اضطر إلى إلغاء هذه الشروط عندما وقعت المجاعات وسببت اضطراباً في أحوال الأداة الإدارية[٣].

ولكن بدايةً من عهد الظاهر لدين الله[٤] (٤١١هـ/ ١٠٢٠م) نجح بعض وزراء التنفيذ الأقوياء في ممارسة مهام وزراء التفويض وابتعدوا خطوة عن كونهم مجرد مُنفذ لرغبات الخليفة، وكان على رأس هؤلاء الوزير الأجّل أبو القاسم الجرجرائي[٥] الذي تولى الوزارة في عهد الظاهر سنة (٤١٨هـ/١٠٢٧م) ونجح في أن يكون واحداً

---

[١] **الحاكم بأمر الله** هو أبي علي المنصور بن العزيز بالله وهو الخليفة الفاطمي السادس والإمام الإسماعيلي السادس عشر، وقد وُلد في مصر وخلف والده العزيز بالله في الحكم وهو في الحادية عشر من عمره في عام (٣٨٦هـ/٩٩٦م). انظر محمد عبدالله عنان: الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٩٨٣م، ص٨٦،٨٧.

[٢] **الشروط العُمرية** هي شروط فرضها الحاكم بأمر الله على النصارى في مصر وتتضمن أن يلبس النصارى لباساً خاصاً بهم ولا يتشبهوا بالمسلمين، وأن يوّقروا المسلمين ويقوموا لهم من مجالسهم إذا أرادوا الجلوس، وأن لايكتنوا بكناهم، ولا يركبوا خيولهم، وأن يشدّوا الزنانير على بطونهم تمييزا لهم عن سائر الناس، وأن يقُصوا مقادم رؤوسهم، ولا يُظهروا الصليب ولا شيء من كتبهم على شيء من طرق المسلمين، وأن لايجاوروا المسلمين بموتاهم، وغيرها من عشرات الشروط التي تُخالف العقل وتعاليم الإسلام. انظر ابن القيم: أحكام أهل الذمة، ج١، دار رمادي للنشر والتوزيع، الدمام، ١٩٩٧م، ص١٣٢.

[٣] القاضي رشيد بن الزبير: كتاب الذخائر والتحف، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٥٩م، ص٢٣٢.

[٣] **الظاهر لإعزاز دين الله** هو أبو الحسن علي ابن الحاكم بأمر الله، وهو الخليفة الفاطمي السابع والإمام السابع عشر من أئمة الشيعة الإسماعيلية، وقد وُلد في القاهرة سنة (٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م) وبُويع بالخلافة وهو في السادسة عشر من عمره سنة (٤١١هـ/ ١٠٢٠م). انظر المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج٢، ص٦٧.

[٤] **أبو القاسم الجرجرائي** هو نجيب الدولة علي بن أحمد الجرجرائي، تولى الوزارة رسمياً في سنة (٤١٨هـ/١٠٢٧م)، وأصبح المُسيطر على البلاد بعد موت ست المُلك بالإشتراك مع أبو الفوارس معضاد ومحسن بن بدوس. انظر المقريزي: المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: خليل منور، ج١، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ص٣٥٤.

من الثلاثة الذين سيطروا على مقاليد الحُكم، يليه الوزير عبدالرحمن اليازوري[١] الذي تولى الوزارة في عهد المستنصر في سنة (٤٤٣ه/١٠٥٠م)، وتمتع بنفوذ جعل منه رأساً للإدارة المدنية ورئيساً للهيئة القضائية ومُشرفاً على الدعوة الشيعية، بل إنه شارك المستنصر في حق من حقوق خلافته وهو السكة[٢].

وقد تطور الأمر بوقوع الشدة المستنصرية وذلك حينما استدعى المستنصر بالله بدر الجمالي إلى مصر لحل الأزمة، فقد ألغى المستنصر لقب الوزير الأجّل وخلع على بدر بثلاثة ألقاب مختلفة وهي أمير الجيوش وداعي الدعاة ثم الوزير[٣]، فأحدث ذلك انقلاباً وزارياً خطيراً تحولت الوزارة بمقتضاه من وزارة تنفيذ (وزراة المدنيين) إلى وزارة تفويض (وزارة العسكريين) وأصبحت مصر تُحكَم بحُكم فردي عسكري، وانتهت الوزراة بصفتها وظيفة تخدم رغبات الخليفة وأصبح الوزير هو السلطان الفعلي للبلاد[٤]، فقد حَجر بدر الجمالي على الخليفة في قصره وافقده جميع سلطاته ولم يبقَ له سوى الإسم فقط[٥].

---

[١] **عبدالرحمن اليازوري** هو أبو الحسن محمد بن علي بن عبدالرحمن اليازوري، تولى الوزارة في عهد المستنصر سنة (٤٤٢ه/١٠٤٨م) ولُقب بالوزير الأجّل، وقد بقي في منصبه حتى قُتل في سنة (٤٥٠ه/١٠٥٨م). انظر ابن الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق: عبدالله مخلص، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٢٤م، ص٤٠.

[٢] **السكة** في اللغة هي الحديدة التي يُضرب عليها النقود لتصبح ذا نقش أو كتابة، مما يجعلها صالحة للمعاملة ويسهل التعرف عليها. انظر محمود عبدالرحمن عبدالمنعم: مُعجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، ج١، دار الفضيلة، (د.ت)، ص٢٢٦.

[٣] ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، ج٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م، ص١٦.

[٤] ستانلي لين بول: سيرة القاهرة، ترجمة: حسن ابراهيم حسن وإدوارد حليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م، ص١٤٥،١٤٦.

[٥] ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، دار كنان للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٣م، ص٨٤.

وقد تعددت اختصاصات وزراء التفويض -بعد وفاة بدر الجمالي- واتسع نفوذهم، فبَطُل بذلك اسم "الوزارة" وأصبح وزير السيف المُلقب بأمير الجيوش هو حاكم مصر الحقيقي[١]، بل وصل نفوذ الوزراء إلى حد التحكم في تولية الخلفاء وقتلهم، فقد سيطر الأفضل بن بدر الجمالي[٢] على أمور الخلافة بعد وفاة أبيه وحَجر على الخليفة، حتى أنه أخذ البيعة لإبن الخليفة الأصغر ولقَبه بالآمر بأحكام الله[٣] عام (٤٩٥هـ/١١٠١م)، وقد ضَيق عليه الأفضل واستبد بمقاليد الحُكم حتى نجح الآمر في قتله في سنة (٥١٥هـ/١١٢١م) [٤].

وقد تجاوز بعض الوزراء ما جرت عليه العادة من الاستبداد بالأمور دون الخليفة، فعندما تولى أبو علي الأفضل كتيفات الوزارة سنة (٥٢٤هـ/١١٣٠م) قام بسجن الخليفة الحافظ لدين الله[٥] (٥٢٤هـ/١١٣٠م) في قصره، وسعى إلى هدم

---

[١] المقريزي: المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٣٩٧-٤٤٠.

[٢] **الأفضل بن بدر الجمالي** هو أبو القاسم أحمد بن بدر الجمالي المُلقب بالملك الأفضل شاهنشاه، وُلد في مصر سنة (٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، وكان أبوه بدر الجمالي وزيراً للخليفة المستنصر، وبعد موته حل الأفضل محله وبلغ مكانة عظيمة عند الخليفة، وقد تبين ذلك من الألقاب الذي حظي بها مثل السيد الأجل وأمير الجيوش وسيف الإسلام. انظر أبو المحاسن: مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبدالعزيز ، ج١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٢٨٣.

[٣] **الآمر بأحكام الله** هو أبو علي منصور بن أحمد بن المستعلي بالله، وُلد في القاهرة سنة (٤٩٥هـ/١١٠١م)، وقد قام الأفضل شاهنشاه بتنصيبه خليفة بعد وفاة أبيه ولقبه بالآمر بأحكام الله، فكان الخليفة الفاطمي العاشر والإمام العشرين للإسماعيلية المستعلية، وقد انفرد الأفضل بحكم البلاد فعَمِد الآمر إلى التخلص منه، وبالفعل قام بقتله ثم عين المأمون البطائحي مكانه وقام بقتله هو الآخر وبذلك استطاع السيطرة على حكومته حتى قتله النزارية في سنة (٥٢٣هـ/١١٢٩م). انظر خير الدين الزركلي: كتاب الأعلام، ج٧، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٢٩٧.

[٤] ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٢، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٨٥٨م، ص١٦٠-١٦٢.

[٥] **الحافظ لدين الله** هو أبو ميمون عبدالمجيد بن الأمير محمد بن المستنصر بالله، وقد بويع بالخلافة بعد مقتل ابن عمه الآمر بأحكام الله سنة (٥٢٤هـ/١١٣٠م) ولُقب بالحافظ لدين الله، وقد

المذهب الإسماعيلي في مصر، فعين أربعة قضاة (شافعي- مالكي- إسماعيلي- إمامي) وألغى الآذان الإسماعيلي، بل ذهب كتيفات إلى أبعد من ذلك فقد أسقط اسم الخليفة واسم إسماعيل بن جعفر الصادق (الذي تُنسب إليه الإسماعيلية) وجعل الخطبة له على المنابر، كما أنه ضرب السكة الجديدة بإسمه كنائب عن الإمام المنتَظر وكان ذلك بمثابة انقلاب كامل على الخلافة الفاطمية[١].

كما عَمد الوزير نجم الدين بن مصال إلى تولية الإبن الأصغر للخليفة الحافظ بعد وفاته، فقد بايعه بالخلافة دون بقية إخوته ولقبه بالظافر بأمر الله[٢]عام (٥٤٤هـ/١١٤٩م)، وظل مسيطراً على أمور الخلافة حتى قتله العادل بن السلار في سنة (٥٤٤هـ/١١٥٠م)، ويُعد قتل الخليفة الظافر من الدلائل الأُخرى على السيطرة المُطلقة للوزراء، فقد أمر الوزير ابن عباس ابنه نصر بقتل الخليفة الظافر في سنة (٥٤٩هـ/١١٥٤م) ثم بايع أصغر أولاده بإسم الفائز بنصر الله[٣] عام

=اضطربت أحوال الديار المصرية بخلافته وذلك لأن الآمر كان قد ترك إحدى نسائه حاملاً، فأسرع غلامي الآمر إلى ابن عمه الأمير عبدالمجيد ونصباه خليفة وبذلك انقطع نسل الآمر وآل الحكم إلى أبناء عمومته. انظر المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج٣، ص١٣٥.

[١] أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق: إبراهيم الزيبق، ج١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م، ص٣١٢.

[٢] **الظافر بأمر الله** هو أبو المنصور اسماعيل ابن الحافظ لدين الله وُلد في القاهرة سنة (٥٢٧هـ/١١٣٣م) وقد تولى الخلافة وهو في السابعة عشر من عمره، ولُقب بالظافر بأمر الله عام (٥٤٤هـ/١١٤٩م)، وقد قام بإستوزار نجم الدين بن مصال فأثار ذلك غضب العادل بن السلار (والي الإسكندرية) فسار إلى القاهرة وقتل ابن مصال ونصب نفسه وزيراً ثم عين نصر بن عباس والياً على مصر، وقد كانت هناك علاقة صداقة تجمع بين ابن عباس والخليفة الظافر ولكن غدر نصر بن عباس بالخليفة وقتله في سنة (٥٤٩هـ/١١٥٤م). انظر المقريزي: المصدر السابق، ج٣، ص١٩٣.

[٣] **الفائز بنصر الله** هو أبو القاسم عيسى بن الظافر اسماعيل بن عبدالمجيد، كان الخليفة الفاطمي الثالث عشر ولكنه لم يحكم فعلياً فقد بويع بالخلافة يوم مقتل أبوه الظافر سنة (٥٤٩هـ/١١٥٤م) وكان يبلغ من العمر خمس سنوات، ووافته المنية وهو في الحادية عشر من عمره. انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٥٢٦.

(٥٤٩هـ/١١٥٤م)، وبعد موت الفائز أعاد الوزير طلائع بن رزيك الكَرة وذلك لأن الخليفة لم يترك وريثاً له، فقام ابن رزيك بمبايعة إبن عم الفائز بالخلافة ولَقبه بالعاضد لدين الله[١]عام (٥٥٥ه/١١٦٠م).

ثالثاً: أثر نهر النيل على عناصر الجيش الفاطمي

قام الفاطميون منذ تأسيس دولتهم في شمال أفريقيا سنة (٢٩٦ه/٩٠٨م) بإنشاء جيش قوي، وذلك لكي يحمي دولتهم ويساعدهم على مد نفوذهم داخل أراضي الدولة الإسلامية[٢]، وقد تألف هذا الجيش من عناصر وأجناس مختلفة، كان أهمها عنصر المغاربة[٣] الذين اعتمد عليهم المعز لدين الله في فتح مصر، وعندما تولى العزيز بالله الخلافة أدخل عناصر أخرى للجيش مثل الأتراك والديلم[٤] عُرفوا بطائفة المشارقة، ثم ظهر عنصر الصقالبة والسودان[٥] في عهد الحاكم، وتضاعف عددهم

---

[١] **العاضد لدين الله** هو أبو محمد عبدالله بن يوسف بن الحافظ لدين الله، تولى الخلافة في سنة (٥٥٥ه/١١٦٠م) بعد موت الفائز، فكان الخليفة الفاطمي الرابع عشر وآخر ملوك الدولة الفاطمية العبيدية في مصر والمغرب. انظر خير الدين الزركلي: كتاب الأعلام، ج٤، ص١٤٧.

[٢] المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج١، ص١٠٨-١١١.

[٣] **المغاربة** هم الذين قامت على أيديهم الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ثم في مصر، وكانوا يدينون بالمذهب الفاطمي، وقد اعتمد عليهم الفاطميين في الجيش وخاصة على الكتاميين منهم، واعتبروهم عصب الدولة الفاطمية وأساس قوتها في مصر، وقد كان زعيمهم هو أبو محمد الحسن بن عمار في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي. انظر السيد عبدالعزيز سالم: دراسات تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية الدولة الفاطمية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م، ص١٩٤.

[٤] **الأتراك والديلم** الترك هم شعوب بدوية من آسيا الوسطى، وقد انتقلوا إلى العالم الإسلامي إبان العصور الوسطى، أما الديلم فهم جند من أسرة بني بويه الديلمية الشيعية التي كانت مستقرة في جرجان وطبرستان، وقد تم استخدام عناصر الترك والديلم في الجيش الفاطمي في عهد الخليفة العزيز بالله وعُرفوا بطائفة المشارقة. انظر المرجع نفسه، ص١٩٥.

[٥] **الصقالبة والسودان** هم جماعة من الزنوج والعبيد كان يتم شراءهم من تجار الرقيق، وقد كان الصقالبة من الرقيق البيض أما السودان فكانوا من الرقيق السود، وقد زاد عددهم في عهد الظاهر لأنه جلب منهم عدداً كبيراً إلى مصر إرضاءاً لزوجته السودانية، وفي عهد المستنصر أصبح لهم الكلمة العليا في البلاد لأن أمه كانت جارية سوداء وكانت تقوم بمساندتهم حتى انتصر عليهم الأتراك بقيادة ناصر الدولة. انظر المقريزي: المصدر السابق، ج١، ص١٣٧.

في عهد المستنصر، وبعد وقوع الشدة المستنصرية انضمت عناصر أجنبية إلى الجيش الفاطمي مثل عنصر الأرمن(١) الذين أحضرهم بدر الجمالي عندما استدعاه المستنصر إلى مصر، وعنصر الأكراد(٢) الذين انضموا إلى الجيش بعد دخول صلاح الدين الأيوبي إلى مصر في عهد الخليفة العاضد لدين الله آخر الخلفاء الفاطميين.

وقد أدى تعدد واختلاف هذه العناصر إلى التنافس والتشاحن بينهم بسبب الشعور بالطائفية أحياناً وبالعنصرية الطبقية أحياناً أُخرى(٣)، ففي عهد الخلفاء الفاطميين الأوائل كان الإعتماد الأكبر في الجيش على عناصر مغربية كتامية وذلك لأن الدولة الفاطمية قامت على أكتافهم(٤)، ولكن عندما تسلم العزيز بالله الخلافة أخذت مكانة الكتاميين تتراجع وذلك لأنه اعتمد على الأتراك وقربهم إليه، الأمر الذي أدى إلى وقوع صراعات بين المغاربة والأتراك، مما أدى إلى إضعاف قوة الدولة الفاطمية

---

(١) **الأرمن** هم جماعة من النصارى جاءوا إلى مصر من منطقة أرمينية مع بدر الجمالي حينما استنجد به المستنصر بالله، وقد ازدادت أعدادهم في الجيش الفاطمي نتيجة لهروب الكثير منهم إلى مصر بسبب خضوع بلادهم إلى الإمبراطورية البيزنطية في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١م، ص١٦٠؛ مصطفى وهبة: موجز الحروب الصليبية، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٩٩٧م، ص١٥.

(٢) **الأكراد** هم جماعة عرقية تتركز في غرب آسيا وجنوب شرق الأناضول في منطقة كُردستان، وقد ظهر الأكراد في الجيش الفاطمي بصورة واضحة في عهد الوزير صلاح الدين الأيوبي، ومثلوا مع الأتراك نواة الجيش الأيوبي الذي حل محل الجيش الفاطمي في مصر الأيوبية. انظر القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٧١م، ص٤٧٨.

(٣) صفاء محمد جابر: النيل وآثاره السياسية والحضارية على مصر منذ بداية العصر الفاطمي وحتى نهاية العصر المملوكي الأول، رسالة دكتوراه، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب والآثار المصرية، قسم التاريخ، ٢٠١٨م، ص٥٣.

(٤) عبده مرعي المنتشري: النظم والتراتيب العسكرية في الجيش الفاطمي، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبدالعزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، ٢٠١٧م، ص٢٢.

وإذهاب هيبتها[١]، وقد ازدادت حِدة هذه الصراعات في عهد الحاكم بأمر الله مما أدى إلى ظهور شبح المجاعة في سنة (٣٨٧هـ/٩٩٧م) على الرغم من أن منسوب فيضان النيل كان قد وصل في هذه السنة إلى ستة عشر ذراعاً وأصابع[٢]، فقد حال افتقاد الأمن خلال هذه الصراعات دون زراعة الأراضي، كما قطعت طوائف العسكر الطرق أمام الغلال التي تأتي من خارج مصر مما أدى إلى إختفاء القمح وارتفاع الأسعار[٣].

ومع تولى الظاهر لمنصب الخلافة وقعت فتنة جديدة بين المغاربة والأتراك، وقد كانت هذه الفتنة من المسببات الرئيسية للمجاعة التي امتدت في الفترة (٤١٤-٤١٥هـ/١٠٢٣-١٠٢٤م)[٤]، فقد بلغت طوائف العسكر حداً كبيراً من التمرد وعدم الإئتمار بأوامر الخليفة الذي انشغل بملذاته وشهواته، وأخذوا يقتتلون متى ما شاؤا بدون أن يكون للخليفة عليهم أمر ولا نهي، فقلت الأقوات وانتشر الجوع على الرغم من بلوغ النيل حد الوفاء، وذلك بسبب انتشار أعمال النهب والقتل وخوف الناس من الخروج للزراعة[٥]، فلنا أن نتصور حال مصر وحال أراضيها وأسواقها وتجارتها في ظل هذه الأعداد من العسكر المتناحرين.

ومع بداية حكم المستنصر بالله وقع عدد من الفتن والحروب بين السودان والأتراك بسبب سياسة أُمه في تقريب السودانيين على حساب الأتراك مما أثر على

---

[١] عبده مرعي المنتشري: النظم والتراتيب العسكرية في الجيش الفاطمي ، ص٢٥.

[٢] ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ج١٥، دار هجر، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٤٤٦.

[٣] عمر سلهم صديق: الأزمات الإقتصادية في مصر الفاطمية، مجلة كلية العلوم الإنسانية، جامعة الموصل، قسم أصول الدين، مج٧، ع٢٧، ٢٠١١م، ص٢٣٦.

[٤] أحمد السيد الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية، ص٤٢.

[٥] المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج٢، ص١٧٧.

اقتصاد الدولة[١]، وقد ازداد الأمر سوءاً في سنة (٤٥٤هـ/١٠٦٢م) عندما خرج المستنصر للنزهة مع جنوده وشربوا الخمر بسقايات زمزم، فقد قتل أحد الجنود الأتراك المخمورين واحداً من العبيد وثارت بينهم فتنة جديدة أدت إلى خراب مصر[٢]، حيث قتل جماعة من العبيد ذلك الجندي التركي، فاجتمع الأتراك للإنتقام من العبيد ووقعت بينهم عدة حروب انتهت بإنتصار الأتراك على العبيد بقيادة ناصر الدولة[٣] فقويت بذلك شوكة الأتراك واشتد بأس قائدهم[٤].

وقد تجددت هذه الحروب وكانت سبباً مباشراً في وقوع الشدة العُظمى سنة (٤٥٧هـ/١٠٦٥م)، فقد استبد الأتراك بأمور الجيش والدولة ومنعوا العبيد من أرزاقهم، مما أدى إلى وقوع معارك أخرى بينهم في صعيد مصر، فاختل الأمن وأصبح الناس يخافون من الخروج بسبب انتشار الخطف والقتل، وأخذ النيل يزيد

---

[١] كانت أم المستنصر أَمة سوداء من أصول سودانية فانحازت لبني قومها من العبيد، واستكثرت من الجنود السودانيين واتخذت منهم حرساً خاصاً لها ولإبنها الخليفة المستنصر، فأثار ذلك غضب الأتراك وظنوا أنها بداية للقضاء عليهم والتخلص منهم، فاشتبكوا مع العبيد في معارك عنيفة انتهت بهزيمة العبيد، ثم عاث الأتراك في البلاد فساداً، وقاموا بنهب المنازل واغتصبوا الأراضي، وأزهقوا الكثير من الأرواح مما أفقد الدولة الكثير من الأيدي العاملة، فتعطلت الزراعة وارتفعت الأسعار وانتشر الجوع. انظر السيد عبدالعزيز سالم: دراسات تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية الدولة الفاطمية، ص١٦٩.

[٢] المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج٢، ص٢٦٥،٢٦٦.

[٣] **ناصر الدولة** هو أبو علي الحسن بن الأمير أبي الهيجاء بن حمدان، نجح في القضاء على دولة العبيد في سنة (٤٦٠هـ/١٠٧٠م) ولقب نفسه بسلطان الجيوش، وقد نجح ابن حمدان في قطع الخطبة عن المستنصر في الإسكندرية ودمياط والوجه البحري كله، وأقام الخطبة للخليفة القائم بالله العباسي في سنة (٤٦٢هـ/١٠٧٢م)، ثم شرع في محو آثار الدولة الفاطمية في مصر، ولكن خاف الأتراك على أنفسهم من هذه السياسة ودبروا مؤامرة للتخلص منه بقيادة الأمير إلدكز كبير الترك، ونجحوا في قتله في سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٥م). انظر المصدر نفسه، ج٢، ص٣٠٩،٣١٠.

[٤] أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ج٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ص٢١.

وينقص دون أن يكون هناك من يزرع الأراضي، فعَم الجوع حتى أُكلت القطط والكلاب[١]، وقد تداعت الأمور أكثر في سنة (٤٦١هـ/١٠٦٩م) حيث انقسم الجند إلى فرقتين واحدة مع الخليفة وواحدة مع ابن حمدان الذي استبد بالأمور وأراد إقامة الخطبة للعباسيين، فوقع قتال بينهم وحاصر ابن حمدان القاهرة ومنع دخول أي طعام لها، فانعدمت الأقوات وغلت الأسعار ومات الآلاف نتيجة القتل والجوع[٢].

وقد انتهت هذه المأساة عندما استنجد المستنصر ببدر الجمالي الذي تمكن من إخماد الفتن وإصلاح الدولة وذلك في سنة (٤٦٧هـ/١٠٧٥م)[٣]، فقد استطاع القضاء على نفوذ الأتراك في الجيش بعدما قتل وأسر أمراءهم، كما أنه ذهب لقتال السودانيين في الصعيد ونجح في التغلب عليهم سنة (٤٦٨هـ/١٠٧٦م) فأعاد بذلك الأمن والأمان للبلاد ووضع حداً للفتن والإضطرابات في الدولة، فعَم الرخاء ورخصت الأسعار وذلك بعد أن وصل منسوب النيل إلى ثمانية عشر ذراعاً[٤]، ولكن بعد وفاة بدر الجمالي تزايد دور طوائف العسكر في السياسة واستمرت المنازعات بينهم خلال العصر الفاطمي الثاني، حتى جاء صلاح الدين الأيوبي بجيشه من الأكراد وقضى على نفوذهم نهائياً وأقام دولة بني أيوب[٥].

رابعاً: أثر نهر النيل على الحالة الأمنية في البلاد

كانت الحالة الأمنية في البلاد تتأثر بالمجاعات الناتجة عن انخفاض فيضان النيل أو ارتفاعه[٦]، فقد كان اضطراب الأمن وانتشار أعمال السلب والنهب من المظاهر المصاحبة للمجاعات، وغالباً ما تكون طوائف العسكر هي السبب وراء

---

[١] المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٩٨.

[٢] المصدر نفسه، ص٩٩.

[٣] عمر سلهم صديق: الأزمات الإقتصادية في مصر الفاطمية، ص٢٣٩.

[٤] ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٦، ص١٤٣،١٤٤.

[٥] المقريزي: المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٢، ص٣،٤.

[٦] أحمد السيد الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية أسباب ونتائج، ص١٠١.

اضطراب الحالة الأمنية وذلك لتملكهم السلاح والقوة[١]، ففي أثناء المجاعة الخطيرة التي وقعت في عهد الظاهر لدين الله خلال عامي (٤١٤-٤١٥هـ/١٠٢٣-١٠٢٥م) اضطربت الحالة الأمنية في البلاد بشدة وذلك بسبب العبيد الذين استغلوا المجاعة للحصول على أكبر قدر من المكاسب المادية[٢]، فقد قاموا بنهب قوافل الحجاج المغاربة وجميع المناطق البعيدة عن العاصمة، وقد حاولت الدولة التصدي لهم ولكنها عجزت عن ذلك بسبب عدم توافر المؤن اللازمة[٣].

وقد طالت حوادث السلب والنهب العاصمة، حيث قام العبيد بنهب القاهرة وما جاورها من المدن حتى اضطر الجرجرائي -وهو أحد كبار رجال الدولة- إلى هجر القاهرة والفرار إلى الفسطاط وذلك بعدما نهب العبيد داره[٤]، ولما طال انتظار العبيد للنفقة واشتد بهم الفقر والجوع قاموا بمهاجمة القصر الفاطمي ونهبوا سماط عيد النحر الخاص بالخليفة أمام رجال الدولة[٥]، ثم تجمعوا وذهبوا إلى جبل المقطم

---

[١] ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١، ص٢٣٧.

[٢] عندما بدأت المجاعة تشتد في عام (٤١٥هـ/١٠٢٤م) توجه العبيد إلى مدينة تنيس وقاموا بنهبها وأخذوا من الخزينة ألفاً وخمسمائة دينار، كما أغاروا على قوافل الحجاج المغاربة، وقاموا بقطع الطريق عليهم وسرقوا أموالهم فلم يخرج أحد للحج مرة أخرى في هذه السنة، كما قاموا بنهب الريف بالإشتراك مع العرب، فنهبوا الأشمونيين وحصل الواحد منهم على ٩٠٠ رأس من البقر و٣ آلاف رأس من الضأن. انظر المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج٢، ص١٦٦.

[٣] المسبحي: أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد السيد وتياري بيانكي، ج٤٠، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٧م ص٧٧.

[٤] المسبحي: أخبار مصر، ج٠٤، ص٧٦،٧٧.

[٥] بدأت حوادث نهب العبيد بالعاصمة في يوم ٠١ ذي الحجة في سنة (٤١٥هـ/١٠٢٥م)، حيث قاموا بمهاجمة القاهرة، وعندما علِم رجال الدولة بذلك امتنعوا في ديارهم وحرسوا أنفسهم، ولكن نجح العبيد في نهب دار الجرجرائي الذي نجح في الفرار إلى الفسطاط وتحصن بها، ثم قاموا بمهاجمة قصر الخلافة أثناء مد سماط عيد النحر، وذلك عندما اشتد بهم الجوع وصاحوا: "الجوع .. الجوع نحن أحق بأكل سماط مولانا" فنهبوا السماط أمام الخليفة وكبار رجال الدولة وذلك بعدما

وتجهزوا لنهب مصر، ولكنهم فشلوا في ذلك بعدما تجهز القائد معضاد بعساكره للدفاع عن البلاد من الهجوم المرتقب وأباح الخليفة للناس قتل العبيد إذا ما حاولوا نهبهم، فانتهى بهم الأمر بالعودة إلى حاراتهم(١).

وسرعان ما جدد العبيد غاراتهم نتيجة للمجاعة المروعة، فقد انقضوا على سواحل إستيراد الغلال وقاموا بنهب ما فيها من قمح وشعير وحبوب، كما نهبوا منازل ودكاكين أهل الساحل(٢)، وقد حاول جنود الخليفة التصدي لهم ولكنهم فشلوا في ذلك فاضطر عامة المصريين إلى التصدي لهم بالسلاح(٣)، ثم قام العبيد بمهاجمة أسواق القاهرة والسويقة الموجودة عند باب زويلة وقاموا بنهبها، فأصدر الخليفة أوامر بالقبض على جماعة منهم وضرب أعناقهم ورمى جثثهم للكلاب وذلك لكي يصيروا عِبرة لغيرهم، إلا أن المجاعة اشتدت ودفعت بعامة الناس إلى نهب بعضهم البعض بسبب شدة الغلاء وعدم توافر الأقوات(٤).

=عجز الصقالبة عن التصدي للعبيد بالعصي، كما أنهم نهبوا لحم الأضاحي الذي أحضرها كاتب قاضي القضاة أبو الحسن بن محمد الطريقي لتوزيعها على أرباب الرسوم. انظر المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج٢، ص١٦٢.

(١) تجمع العبيد في يوم ٢٣ من شهر ذي الحجة في سنة (٤١٥هـ/١٠٢٥م) واتفقوا مع النهَابة على الذهاب إلى أعلى الجبل بالمقطم استعداداً لنهب مصر وقد بلغ عددهم نحو ألف رجل، فبعث القائد معضاد عساكره إلى العاصمة لحماية البلاد من الهجوم المرتقب، ثم توجه إلى حيث تجمع العبيد فشكوا له اشتداد الجوع بهم فوعدهم بالنفقة في اليوم التالي فانصرفوا إلى حاراتهم. انظر المسبحي: المصدر السابق، ج٤٠، ص٨٧.

(٢) المقريزي: المصدر السابق، ج٢، ص١٧٠.

(٣) حفر عامة المصريين الخنادق في الدروب، ووقف الرجال والنساء على أعلى المنازل وألقوا بالحجارة والطوب على العبيد، فانهزم العبيد أمامهم واضطروا إلى الفرار، فاغتنم القائد معضاد الفرصة وطاردهم وقبض عليهم، فضرب رقاب تسعة منهم ورمى جثثهم إلى الكلاب. انظر المسبحي: المصدر السابق، ج٤٠، ص٨٨.

(٤) المقريزي: المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٣٥٤.

وبعد وقوع الشدة المستنصرية عاشت مصر حالة من الفوضى والإضطرابات بسبب تسيب الحالة الأمنية في البلاد، فقد تنازعت طوائف الجند فيما بينهم -كما سبق وذكرنا- مما أدى إلى انتشار أعمال السلب والنهب وقطع الطرقات(١)، فأصبحت طرق المواصلات البرية والبحرية غير آمنة بسبب تعرض المسافرين لنهب اللصوص فتأثرت بذلك تجارة الغلال الواردة للبلاد(٢)، كما اشتد خوف الناس بسبب كثرة الخطف والقتل في الطرقات ليلاً ونهاراً بسبب الجوع فامتنعوا عن الخروج من بيوتهم(٣)، وقد أثر ذلك الأمر بالسلب على الزراعة، فقد وفى النيل في سنة (٤٦٢هـ/١٠٧٠م) ولم يخرج أحد لزراعة الأراضي لأن السير في الطرقات أصبح مغامرةً غير مأمونة العواقب، فتفاقم البلاء بالناس واشتد جوعهم(٤).

كما أدى اضطراب الأمن إلى تحول طريق الحج من مصر إلى الأراضي الحجازية(٥)، ويرجع هذا التحول إلى خراب الدلتا وقت الشدة المستنصرية، وقد صاحب تحول طريق الحج تحولاً في باقي طرق التجارة، فقد تحولت تجارة مصر من موانئ الشمال إلى ميناء عيذاب مما أدى إلى ازدهاره، وقد تَبِع استعمال هذا الميناء ازدهاراً في مدينة قوص أيضاً حيث أصبحت أهم الأسواق في مصر(٦)، وقد

---

(١) عبدالمنعم عبد الماجد: ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، ص٣٧٦.

(٢) المقريزي: المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٣٣٧.

(٣) راشد البراوي: حالة مصر الإقتصادية في عهد الفاطميين، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨م، ص٩٥،٩٦.

(٤) المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج٢، ص٢٧٩.

(٥) ذكر ناصر خسرو أن طريق التجارة قد تحول من الطريق البري إلى الطريق البحري، بعد أن كان الطريق البري هو الأكثر استعمالاً حتى زيارته لمصر، كما ذكر أن طريق الحج البري قد انقطع منذ وقوع الشدة العُظمى، وصار الناس لا يتوجهون إلى مكة إلا عن طريق ميناء عيذاب، فكانوا يأخذون المراكب منه إلى جدة، وقد كان هذا طريق عودتهم أيضا. انظر ناصر خسرو: سفر نامة، ترجمة: يحيي الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٤٥.

(٦) سعاد ماهر: محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية في العصر الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٦م، ص٢٦،٢٧.

استمر هذا الوضع المروع حتى جاء بدر الجمالي إلى مصر عام (٤٦٧هـ/١٠٧٤م) وتمكن من إقرار الوضع الأمني في البلاد(١).

خامساً: أثر نهر النيل على السياسة الخارجية وحدود الخلافة

تُعد السياسة الخارجية لأي دولة هي السبيل لتحقيق أمنها الإقتصادي وذلك بما تحققه من علاقات ومعاهدات مع الدول المجاورة وذلك لسد حاجاتها بما ينقصها من السلع والمواد الغذائية(٢)، وقد كان لنهر النيل تأثير مباشر على السياسة الخارجية لمصر وذلك لأنه يؤثر بشكل كبير على الأوضاع الداخلية فيها(٣)، فإنهيار الإقتصاد وإضطراب الأمن الناتج عن انخفاض فيضان النيل أو ارتفاعه، بالإضافة إلى سياسة بعض الخلفاء الفاطميين الخاطئة تجاه هذه الأزمات كان يؤدي إلى اضطراب العلاقات مع الدول القريبة من محيطهم، بالإضافة إلى ضعف الدولة وعجزها عن الإحتفاظ بالبلاد المنضوية تحت لوائها(٤).

١-أثر نهر النيل على علاقات الفاطميين الخارجية

كانت علاقة الفاطميين مع العباسيين من جهة ومع الروم والأحباش من جهة أخرى من أهم أسباب أزمات مصر الإقتصادية، فالعلاقة بين الفاطميين والعباسيين علاقة عدائية بحتة قائمة على أساس ديني غرضه إثبات أحقيتهما بالخلافة(٥)، أما علاقة الفاطميين بالروم والأحباش فقد كانت علاقة يشوبها العداء في أوقات كثيرة

(١) المسبحي: أخبار مصر، ج٢، ص٢٣.

(٢) عمر سلهم صديق: الأزمات الإقتصادية في مصر الفاطمية، ص٢٤٦.

(٣) قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص٥٣.

(٤) أحمد السيد الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية أسباب ونتائج، ص١٠٧.

(٥) عمر سلهم صديق: المرجع السابق، ص٢٤٧.

بسبب اضطهاد النصارى في مصر[١]، وقد أثرت هذه العلاقات بشكل سلبي على البلاد بسبب النفقات الباهظة التي بذلها الفاطميون في سبيل منافسة العباسيين على النفوذ وحيازة البلدان[٢]، بالإضافة إلى المعاملة السيئة للنصارى والتي أدت إلى سوء العلاقات التجارية مع الروم والأحباش.

وقد كانت بلاد الحجاز من أهم مراكز التنافس الفاطمي العباسي بإعتبارها قلب العالم الإسلامي[٣]، لذلك عمل الفاطميون على حيازة تبعيتها وإقامة الخطبة لهم في مكة والمدينة، فقاموا بإرسال النفقات وكسوة الكعبة إلى أشراف الحجاز مقابل إقامة الدعوة الفاطمية في الأراضي المقدسة[٤]، فكانت أول خطبة للفاطميين في بلاد الحرمين سنة (٣٥٨هـ/٩٦٩م) وذلك بعدما أغدق عليها المعز بالأموال الطائلة[٥]، ولكن عندما وقعت المجاعة في عهد الظاهر سنة (٤١٥هـ/١٠٢٥م) وتعذر إرساله للنفقات والمعونة لهم، قام الحجازيين بتهديده بقطع الخطبة له وإقامتها للعباسيين فاضطر إلى إرسالها رغم سوء الأوضاع[٦].

---

[١] محمد جاب الله علي: العلاقات المصرية الحبشية في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، قسم التاريخ، ٢٠١١م، ص٦١.

[٢] سعى الفاطميون منذ استقرارهم في مصر إلى نشر مذهبهم الشيعي في العالم الإسلامي، لذلك أنفقوا بسخاء على أمراء الولايات لإقامة الخطبة للفاطميين في بلادهم، ولم يُهمل الفاطميون أمر الدعوة والإنفاق عليها حتى في أشد الأزمات، فقد بث المستنصر دعاته في خرسان وبلاد ما وراء النهر لنشر الدعوة الفاطمية، كما أنه أرسل أموالاً عظيمة للبساسيري عندما سيطر على بغداد وذلك لإقامة الخطبة له على الرغم من وقوع الشدة المستنصرية في مصر والتي أكل خلالها شعبه جيف القطط والكلاب. انظر المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٨٠.

[٣] عمر سلهم صديق: الأزمات الإقتصادية في مصر الفاطمية، ص٢٤٨.

[٤] علي بن حسين السليمان: العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك، ص٨.

[٥] المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج١، ص١٢٢.

[٦] صبحي عبدالمنعم محمد: العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت)، ص٨١.

وعندما نقص النيل أثناء الشدة المستنصرية بدأت العلاقات تضطرب بين مصر والأراضي الحجازية بسبب عجز المستنصر عن إرسال الأموال وكسوة الكعبة إليهم، فقام أمير مكة بقطع خطبة الفاطميين وأقامها لبني العباس(١)، فاضطر المستنصر إلى إرسال مائتي ألف دينار رغم شدة البلاء وتساقط جثث الموتى جوعاً وقتلاً في طرقات القاهرة(٢)، ولكن سرعان ما تغير ولاء أمير مكة عندما أرسل إليه مبالغ أكبر وخطب للقائم العباسي على منابر مكة والمدينة، وانتهى بذلك صدى أسماء الخلفاء الفاطميين على منابر الحجاز وانقطعت معه الدعوة الفاطمية بإنقطاع الإنفاق على بلاد الحرمين(٣).

أما العلاقات التجارية مع الروم فقد كانت مقترنة برعاية مصالح النصارى في مصر، حيث أن الروم هي بوابة مصر التجارية للعالم الخارجي من جهة الشمال، فهي تتحكم بسواحل ومياه البحر المتوسط المطلة على أوروبا وبلاد المغرب

---

(١) المقريزي: المصدر السابق، ج٢، ص١٦٤-١٦٩.

(٢) اضطربت العلاقات بين مصر والأراضي المقدسة بسبب انقطاع ما ترسله مصر من نفقات وأغذية منذ بداية الشدة العُظمى سنة (٤٥٧هـ/١٠٦٥م)، فقد قام محمد بن جعفر بن أبي هاشم (أمير مكة) بقطع الخطبة للمستنصر في سنة (٤٦٢هـ/١٠٧٠م) وأقام الخطبة للقائم العباسي، فانقطعت بذلك الدعوة الفاطمية من الحجاز، فيذكر الذهبي: "أن تمرد الحجاز يعود إلى زِلة المصريين بالقحط المفرط وانشغالهم بأنفسهم حتى أكل بعضهم بعضاً"، ويبدو أن المستنصر لم يهتم بالغلاء والخراب الذي حل بمصر، بل كان همه الوحيد هو الحفاظ على الخطبة الفاطمية في أرض الحرمين الشريفين. انظر القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٤٠٧٢؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، مج٦١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧١م، ص٢١٤.

(٣) يُعد تكرار قطع الخطبة عن الفاطميين وإقامتها للعباسيين في أوقات ضعف وإفلاس الخلافة الفاطمية دلالة على أن تبعية الحجاز للفاطميين كانت مبنية على حاجة مادية فقط، وذلك بسبب قلة الموارد الإقتصادية في بلادهم، لذلك قاموا بإستغلال الصراع الفاطمي العباسي من أجل جني الأموال. انظر عمر سلهم صديق: المرجع السابق، ص٢٤٩.

العربي[١]، وقد كانت علاقتها التجارية بمصر طيبة في العصر الفاطمي الأول حيث تمتع النصارى بمعاملة حسنة وتولوا أكبر المناصب في الدولة، ولكن سرعان ما تعكر صفو هذه العلاقات في عهد الحاكم الذي اضطهد النصارى في عهده[٢]، والمستنصر الذي أمر بإغلاق كنائس مصر وفرض على الرهبان جزية لمدة أربع سنوات، فقامت ثيودورا (ملكة الروم) بإلغاء صفقة تصدير الغلال إلى مصر أثناء الشدة العُظمى في سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م) مما أدى إلى تفاقم المجاعة[٣].

أما الحبشة فقد كان تأثيرها على مصر أقوى وأخطر من تأثير الروم وذلك لأن النيل يمر بأراضيها قبل وصوله إلى السودان ومصر، وقد استعمله الأحباش كوسيلة للضغط على مصر إذا ما أساءت معاملة رعاياهم[٤]، وهذا ما حدث في عهد الحاكم بأمر الله عندما أساء معاملة النصارى، فقد قام الأحباش بتحويل مسار النهر فتوقف النيل عن الزيادة، وعندما عَلِم الحاكم بذلك أرسل بطرك النصارى إلى نجاشي الحبشة وشرح له ما وقع بالبلاد من ضرر، فأمر النجاشي بفتح السد ففاض النيل في مصر حتى وفَى[٥]، ويُعتبر هذا الأمر دلالة خطيرة على مصير النيل في مصر، فقد

---

[١] عمر سلهم صديق: الأزمات الإقتصادية في مصر الفاطمية، ص٢٥٠.

[٢] بدأ الحاكم عهده بحملة قاسية ضد النصارى، فقد هدم كنائسهم وأجبرهم على تعليق صليب خشبي ضخم على أعناقهم، كما أجبرهم على لبس عمائم سوداء وزنانير على خصورهم، ومنعهم من الركوب مع المسلمين واستعمال حماماتهم، بل وخيرهم بين اعتناق الأسلام أو الرحيل عن مصر. انظر فاطمة مصطفى عامر: تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، ج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ت)، ص٢٠٩.

[٣] أرسل المستنصر رسولاً إلى القسطنطينية، وقد صادف وصوله وصول رسول العباسيين الذي استأذن ملكة الروم وصلى وخطب للخليفة القائم العباسي في مسجد القسطنطينية، فأثار ذلك غضب المستنصر وأمر بإغلاق كنائس مصر والشام، فساءت علاقته مع الروم وألغت ملكتهم صفقة الحبوب المرسلة إلى مصر. انظر المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٣٠.

[٤] عمر سلهم صديق: المرجع السابق، ص٢٥١.

[٥] أحمد السيد الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية أسباب ونتائج، ص٣٣.

استخدمه الأحباش والصليبيين كورقة تهديد لمصر في العصور اللاحقة من التاريخ[١]، ومازالت هذه الورقة تُستعمل حتى وقتنا الحالي.

٢-أثر نهر النيل على حدود الخلافة الفاطمية

لم يقتصر تأثير المجاعات المتعاقبة على الأوضاع الداخلية للخلافة الفاطمية، بل امتد تأثير هذه المجاعات إلى ممتلكات الخلافة خارج حدود مصر وأدت إلى ضياعها، فقد انهكت هذه المجاعات الخلافة الفاطمية وأفقدتها جزء كبير من حدودها الواسعة، وذلك لأنها شجعت أعداء الدولة والطامعين في الحكم على الإستقلال عن الخلافة وإسقاط الدعوة الفاطمية في بلادهم[٢]، ففي أثناء المجاعة التي وقعت في سنة (٤٠٢-٤٠٣هـ/١٠١١-١٠١٣م) تمرد العرب في الشام على الخلافة الفاطمية، ولكن عجز الحاكم بأمر الله عن إرسال جيشاً لردعهم بسبب انتشار الجوع واضطراب الأحوال في بلاده[٣]، وبعد انتهاء المجاعة تمكن الحاكم من إرسال حملة ناجحة إلى دمشق واستعاد بها بلاد الشام[٤].

وقد تجدد التمرد في بلاد الشام أثناء المجاعة التي وقعت في عهد الظاهر لإعزاز دين الله سنة (٤١٤-٤١٥هـ/١٠٢٣-١٠٢٥م)، حيث قام عرب الشام بحركات تمرد واسعة في دمشق بسبب انشغال الخلافة بالمجاعة في مصر وعجزها عن

---

[١] حدث ذلك مرات كثيرة في عهد الدولة الأيوبية، فقد أرسل نجاشي الحبشة كتاب إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون في سنة (٧٢٦هـ/١٣٢٥م) وطلب فيه تعمير كنائس النصارى والإحسان إليهم حتى لا يقطع جريان النيل عن مصر، كذلك فقد أعاد نجاشي الحبشة إرسال كتاب آخر إلى سلطان مصر في سنة (٨٤٧هـ/١٤٤٣م) يتضمن التهديد بقطع النيل عن مصر إذا ما استمرت عمليات اضطهاد المسيحيين. انظر قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع المصري، ص٥٣.

[٢] أحمد السيد الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية أسباب ونتائج، ص١٠٧.

[٣] عبدالمنعم عبدالماجد: ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، ص١٤٣.

[٤] جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق، ط٣، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٩م، ص٤٥.

إرسال عساكرها إلى بلادهم، فقد حاول الظاهر إرسال حملة من الكتاميين للسيطرة على دمشق ولكنهم هلكوا فقراً وجوعاً فاضطر الظاهر إلى إقرار الوضع على ماهو عليه بالشام، وقد كان هذا بمثابة إعتراف منه بعجز الدولة الفاطمية عن صد المتمردين وإستعادة أملاكها، ولم تتمكن الدولة الفاطمية من إعادة نفوذها في بلاد الشام إلا في سنة (٤٢٠هـ/١٠٢١م)[١].

كما أثرت المجاعات التي وقعت في فترة الشدة المستنصرية منذ (٤٤٧-٤٥٧هـ/١٠٥٥-١٠٦٥م) على ممتلكات الخلافة الفاطمية في بلاد الشام والحجاز وأفريقية، فقد قطع كل من والي أفريقيا ووالي مكة والتركمان بحلب الخطبة للفاطميين وأقاموها للعباسيين[٢]، كما أدى انشغال المستنصر بالمجاعات إلى استقلال الأسر المحلية الحاكمة بسوريا، واستيلاء الأتراك على فلسطين في سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٣م)، بالإضافة إلى استيلاء السلاجقة على دمشق في سنة

---

[١] استطاعت الدولة الفاطمية أن تُعيد بسط نفوذها على بلاد الشام وتسترد أملاك الخلافة في سنة (٤٢٠هـ/١٠٢١م) وذلك بعدما نجح الدزيري في هزيمة حسان بن جراح وقتل صالح بن مرداس، أما حلب فقد تم استعادتها في سنة (٤٢٦هـ/١٠٣٥م) وذلك بعد قتل ثمال بن صالح بن مرداس. انظر ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٧٣، ٧٤.

[٢] كانت بلاد الشام هي أكثر أملاك الخلافة تأثراً بحالة الضعف التي أصابت الفاطميين أثناء الشدة المستنصرية وبعدها، فقد بدأ خروج بلاد الشام من يد الفاطميين مع بداية الشدة العُظمى سنة (٤٥٧هـ/١٠٦٥م)، وذلك بعدما تمكن محمود بن صالح بن مرداس من الإستيلاء على حلب في سنة (٤٥٢هـ/١٠٦٠م) وأسقط الدعوة الفاطمية بها في سنة (٤٦٢هـ/١٠٧٠م)، وعندما جاء ألب أرسلان إلى حلب في سنة (٤٦٣هـ/١٠٧١م) قلده محمود بن صالح الولاية فأكد بذلك خروج حلب نهائياً من تحت سيطرة الفاطميين، حتى بلاد الحجاز التي كانت ذات أهمية روحية للفاطميين خرجت من تحت أيديهم بسبب عجزهم عن إرسال النفقات إليها بسبب المجاعات، فتحول ولائها إلى العباسيين، أما أفريقية فقد خضع واليها إلى المرابطين وقطع الخطبة للفاطميين فيها. انظر ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٩٠-٩٣.

(٤٦٨هـ/١٠٧٦م) [١]، ولم يقتصر الأمر على خروج ولايات المشرق عن طَوع الفاطميين، فقد خرج أيضاً المغرب –مهد الخلافة الفاطمية– عن طَوعها، فمنذ الشدة العُظمى توقف ضرب السكة للفاطميين في المهدية وجزيرة صقلية كما قُطعت الخطبة لهم[٢].

الخاتمة:

مصر هي هبة النيل ولا يمكن أن تعرف زراعة أو استقراراً بدونه، غير أنه وجب على كل من حكم مصر أن يُحسن التعامل مع هذه الهبة لكي يُجنِب شعبه الغلاء والجوع، فالنيل قديم بقِدم مصر وهذه طبيعته منذ أن خلقه الله تعالى، يفيض في أعوام وينخفض في أُخرى، لذلك كان لابد من البحث في النظام السياسي للدولة الفاطمية لكشف الأسباب الحقيقية التي أجاعت مصر في عهدهم، واتضح أن هذه الأسباب كانت تكمن في نظم الفاطميين وفي شخصيات خلفائهم ووزرائهم وآل بيتهم، وأساليبهم في إدارة موارد الدولة والتصرف بها، فقد وفّى النيل في سنوات كثيرة ولكن الفاطميين لم يُوفوا فكان الجوع.

---

[١] أدت الشدة المستنصرية إلى انشغال المستنصر بالأوضاع في مصر، فأدى ذلك إلى استقلال الأسر المحلية الحاكمة بسوريا ووقوع ما تبقى منها في أيدي الصليبيين، أما فلسطين فقد استولى مقدم الأتراك عليها في سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٣م) وقطع الخطبة للمستنصر فيها، أما دمشق فقد خرجت عن الخلافة الفاطمية وذلك عندما تمرد شعبها على العسكر. انظر المسبحي: أخبار مصر، ج٢، ص١٨.

[٢] ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، محمد الأرناؤوط، ج٣، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٧م، ص٢٦٤.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد الجوزي القرشي التيمي البكري ت: ٥٩٧ه/١٢٠١م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، ج٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م.

٢- ابن خلكان (أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي ت: ٦٨١ه/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٢، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٨٥٨م.

٣- خير الدين الزركلي (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي ت: ١٣٩٦ه/١٩٧٦م): كتاب الأعلام، ج٧، ط٥١، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م.

٤- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت: ٧٤٨ه/١٣٤٧م) : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، مج١٦، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧١م.

٥- أبو شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي ت:٦٦٥ه/١٢٦٧م): الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق: إبراهيم الزيبق، ج١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م.

٦- ابن الصيرفي (أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان التنوخي ت: ٥٤٢ه/١١٤٧م): الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق: عبدالله مخلص، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٢٤م.

٧- **ابن ظافر الأزدي (أبو الحسن علي بن ظافر بن حسين الأزدي ت:٦١٣ه/١٢١٦م)** : أخبار الدول المنقطعة، تحقيق: أندريه فريه، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٢م.

٨- **ابن العماد الحنبلي (عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي ت:١٠٨٩ه/١٦٧٩م)**: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، محمد الأرناؤوط، ج٣، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٧م.

٩- **القاضي الرشيد بن الزبير (أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير الغساني الأسواني المصري ت: ٥٦١ه/١١٦٦م)** : كتاب الذخائر والتحف، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٥٩م.

١٠- **ابن القلانسي (حمزة بن أسد بن علي بن محمد أبو يعلى التميمي ت: ٥٥٥هـ/١١٦٠م)**: ذيل تاريخ دمشق، دار كنان للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٣م.

١١- **القلقشندي (شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي ت: ٨٢١ه/١٤١٨م)**: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: محمد شمس الدين، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٧١م.

١٢- **ابن القيم (محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ت: ٧٥١هـ/١٣٥٠م)**: أحكام أهل الذمة، ج١، دار رمادي للنشر والتوزيع، الدمام، ١٩٩٧م.

١٣- **ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت: ٧٧٤ه/١٣٧٣م)** : البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ج١٥، دار هجر، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٤- أبو المحاسن (أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن الأمير سيف الدين تغري بردي الأتابكي اليشبقاوي الظاهري ت: ٨٧٤ه/١٤٧٠م):

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ج٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

-مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبدالعزيز أحمد، ج١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٥- المسبحي (الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عبد العزيز المسبحي ت: ٤٢٠ه/١٠٢٩م): أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد السيد وتياري بيانكي، ج٤٠، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٧م.

١٦- المقريزي (أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر المقريزي ت: ٨٤٥ه/١٤٤١م):

- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال،ج٢، ط٢، القاهرة، ١٩٩٦م.

- المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار،تحقيق: خليل منور،ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

- إغاثة الأمة بكشف الغمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.

١٧- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ت: ٦٢٦ه/١٢٢٩م): معجم البلدان،ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١م.

ثانياً: المراجع

١- **أحمد السيد الصاوي:** مجاعات مصر الفاطمية أسباب ونتائج، دار التضامن للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٨م.

٢- **السيد عبدالعزيز سالم:** دراسات تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية الدولة الفاطمية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م.

٣- **جمال الدين الشيال:** مجموعة الوثائق الفاطمية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٤-**جمال الدين سرور:** النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق، ط٣، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٩م.

٥- **راشد البراوي:** حالة مصر الإقتصادية في عهد الفاطميين، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨م.

٦- **ستانلي لين بول:** سيرة القاهرة، ترجمة: حسن ابراهيم حسن وإدوارد حليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م.

٧- **سعاد ماهر:** محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية في العصر الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٦م.

٨- **سعيد عبدالفتاح عاشور:** شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية، المجلة التاريخية المصرية، مج٦، القاهرة، ١٩٦٩م.

٩- **صبحي عبدالمنعم محمد:** العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت).

١٠- **عارف تامر:** المعز لدين الله الفاطمي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢م.

١١- **عبدالمنعم عبدالماجد:** ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٤م.

١٢- **علي حسني الخربوطلي:** العزيز بالله الفاطمي، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٩٨م.

١٣- **علي سليمان:** العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك، دار حواء، القاهرة، ١٩٧٣م.

١٤- **فاطمة مصطفى عامر:** تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، ج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ت).

١٥- **قاسم عبده قاسم:** النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، القاهرة، ٢٠١٢م.

١٦-**محمد حمدي المناوي:** الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف الكبرى، القاهرة، ١٩٧٠م.

١٧- **محمد عبدالله عنان:** الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٣م.

١٨- **محمود عبدالرحمن عبدالمنعم:** مُعجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، ج١، دار الفضيلة، (د.ت).

١٩- **مصطفى وهبة:** موجز الحروب الصليبية، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٩٩٧م.

٢٠-**ناصر خسرو:** سفر نامة، ترجمة: يحيي الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.

ثالثاً: الرسائل العلمية

١- **صفاء محمد جابر:** النيل وآثاره السياسية والحضارية على مصر منذ بداية العصر الفاطمي وحتى نهاية العصر المملوكي الأول، رسالة دكتوراه، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب والآثار المصرية، قسم التاريخ، ٢٠١٨م.

٢- **عبده مرعي المنتشري:** النظم والتراتيب العسكرية في الجيش الفاطمي، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبدالعزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، ٢٠١٧م.

٣- **عطية القوصي:** تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام وحتى سقوط الخلافة العباسية، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٩٧٣م.

٤- **محمد جاب الله علي:** العلاقات المصرية الحبشية في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، قسم التاريخ، ٢٠١١م.

رابعاً: الدوريات

١- **عمر سلهم صديق:** الأزمات الإقتصادية في مصر الفاطمية، مجلة كلية العلوم الإنسانية، جامعة الموصل، قسم أصول الدين، مج٧، ع٢٧، ٢٠١١م.